"من الشبهات المثارة حديثاً
حول علوم القرآن الكريم والرد عليها"

إعداد

د / منصور حسن أحمد حسن

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

"من الشبهات المثارة حديثاً حول علوم القرآن الكريم والرد عليها"

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، أنزل الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد: فإن القرآن الكريم هو معجزة الإسلام وجوهر رسالة سيد الأنام ــ عليه الصلاة والسلام ــ وهو الدستور الشامل والمنهج الكامل لإصلاح البشرية واستقامة الإنسانية، كما قال تعالى: " فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى"[1] ومن هنا فقد أفنى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عمرة في تبليغ القرآن الكريم وبيان مجمله ودفع ما أثاره الكافرون قديماً حول مبانيه ومرامية، ثم سار الصحب الكرام على منهج خير الأنام، فحفظوا القرآن وعلومه في صدورهم، كما نشروا أنواره وهدايته على مستوى الأنحاء وفي سائر الأرجاء.

وكذا سار على هذا المنهج التابعون لهم بإحسان إلى يومنا هذا إلا أن أعداء الإسلام ــ قاتلهم الله أنى يؤفكون ــ لا يزالون يوجهون سهامهم نحو القرآن تارة ونحو علومه تارة أخرى في شبهاتهم التي يثيرونها ويلبسونها أثواباً علمية زائفة، وإذا كان الرد عليهم يعتبر واجباً على المسلمين في كل زمان ومكان، فإنه في هذا العصر بالذات يعتبر من أوجب الواجبات عليهم، فقد صارت الكتابة والكلمة والصورة في زماننا هذا أبلغ خطراً من الأسلحة والجيوش الجرارة، وغدت أساليب الدعاية المدروسة أشد تأثيراً على الإنسان نفسه من أي شيء، ومادام واقعنا المعاصر كذلك كان فرضاً على ولزاماً لي الرد على ما تيسر من هذه الشبهات في هذا "السفر البسيط" والذي سميته "من الشبهات المثارة حديثاً حول علوم القرآن الكريم والرد عليها".

وبعد هذه المقدمة أورد تمهيداً أعرف فيه بالشبهات وبعلوم القرآن الكريم، ثم أرد على شبهتين من الشبه المثارة في هذا الزمن :

الشبهة الأولى: "إسقاط القراءات القرآنية".

الشبهة الثانية: "إسقاط الإعجاز العلمي في قرآن الله العلي".

وسأورد أسماء الأعداء المثيرين لهاتين الشبهتين، كما أورد أقوالهم من كتبهم ما أمكن ذلك، ثم أرد عليها ــ حسبما قدر ربي ويسر ــ بأدلة القرآن الكريم الخالدة الباهرة وبأحاديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ المعجزة النيرة، ثم بأقوال العلماء

---

(١) ١٢٣/طه.

الكرام الجهابذة الأعلام، ثم بالتاريخ الصحيح الثابت، ثم الشهادات المنصفين من الأعداء أنفسهم، لهل الجائرين منهم في الإسلام يدخلون، وعن إثارة الشبهات حوله ينتهون، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

تعريف الشبهات: ــ

"الشبهات": جمع شبهة وهي مأخوذة من مادة "شبه" وهذه المادة وما صيغ منها تدور حول الأمر الملتبس المختلط، فقد ذكر في "معاجم اللغة العربية": ("شبه" الشَّبْهُ والشَّبَهُ والشبيه: المثل والجمع أشباه، والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات، والشبهة: الالتباس وأمرو مشتبهة ومشبهة كمعظمة، مشكلة يشبه بعضها بعضاً، وشبه عليه: خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره، وجمع الشبهة شبهات وشبه وهو اسم من الاشتباه وفي التنزيل العزيز: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ "[1].

و"اشتبه" الأمر عليه: اختلط، و"تشابه" الشيئان: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وفي التنزيل العزيز: " إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ"[2][3].

تعريف علوم القرآن الكريم: ــ

يطيب لنا هنا أن نعرف شيئاً عن معنى "علوم القرآن" بالمعنى الإضافي، ثم بالمعنى اللقبي وما يستدعيه المقام من مسائل فقد صار علم "علوم القرآن" علماً مستقلاً يبحث في القرآن الكريم من شتى نواحيه.

علوم القرآن :

مركب إضافي [1] من جزئين: علوم، وقرآن، وقد أصبح هذا اللفظ علماً على "الفن المدون" وهذا المركب له معنى قبل التسمية به ومعنى بعد التسمية به.

علوم القرآن بمعناه الإضافي: أي قبل التسمية :

ومعناه هكذا يتضح بعد بيان كل من كلمتي "علوم وقرآن" ــ أي معنى كل من المضاف والمضاف إليه ــ فالمضاف وهو كلمة "علوم": جمع علم وهو في اللغة: نقيض

---

(1) في الآية ١٥٧ من سورة النساء.

(2) من الآية ٧٠ في سورة البقرة.

(3) تراجع مادة "شبه" وما صنيع منها في "لسان العرب" ٥٠٣/١٣، "المصباح المنير" ٣٠٤/١، والمعجم الوسيط" ٤٩٠/١، "مختار الصحاح" ص ٣٢٨، "تاج العروس" ٨٢٢٤/١.

(1) هو أحد أنواع المركب، والمركب هو: "ما أريد بجزء لفظه الدلالة على جزء معناه " أ .هـ من "التعريفات" للجرجاني ص ٧٣.

الجهل مصدر مرادف للفهم والمعرفة كما يطلق ويراد به الملكة واليقين والفن المدون[٢].

وفي اصطلاح علماء التدوين[٣]: هو "طائفة من المسائل المضبوطة التي تندرج تحت موضوع واحد وتهدف إلى غاية واحدة" أو هو: "المعلومات المنضبطة بجهة واحدة سواء أكانت وحدة الموضوع أم وحدة الغاية، وسواء أكانت تلك المعلومات تصورات كعلم البديع، أم تصديقات، وسواء أكانت تلك التصديقات قضايا كلية ــ وهو الغالب ــ أم جزئية أم شخصية كعلم الحديث رواية"[٤] والعلم بهذا المعنى جنس تندرج تحته كل أنواع العلوم، كعلم النحو والصرف والفقه والتوحيد والحديث.

وأما المضاف إليه وهو كلمة "قرآن" فقد اختلف فيه علماء اللغة من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز، ومن جهة كونه مصدراً أو وصفاً على أقوال أجملها فضيلة الأستاذ الدكتور / أبو شبهة فيما يلي :

(أما القائلون: بأنه "مهموز" فقد اختلفوا على رأيين:

الأول: قال جماعة منهم "اللحياني": القرآن: مصدر "قرأ" بمعنى: تلا، كالرجحان والغفران، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المنزل على نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من باب تسمية المفعول بالمصدر. ويشهد بهذا الرأي ورود القرآن مصدراً بمعنى القراءة في الكتاب الكريم، قال تعالى: " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "[١] أي قرآته. وقول حسان بن ثابت يرثي ذا النورين سيدنا عثمان ــ عليه من الله الرضوان ــ:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به .. قطع الليل تسبيحاً وقرآناً

أي قراءة وعلى هذا يكون على وزنُ فعلان.

الثاني: قال جماعة منهم الزجاج: إنه وصف على فعلان مشتق من "القرء" بمعنى الجمع، يقال في اللغة: "قرأت الماء في الحوض، أي جمعة، ثم سمى به الكلام المنزل على النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لجمع السور والآيات فيه أو القصص والأوامر والنواهي، أو لجمعة ثمرات الكتب السابقة، وهو على هذين الرأيين مهموز، فإذا نُزلت الهمزة فذلك للتخفيف، ونقل حركتها إلى الساكن قبلها والألف واللام فيه ليست للتعريف وإنما للمسح الأصل وعلى هذا أيضاً يكون على وزن فُعلان.

---

(٢) تراجع مادة "علم" في "لسان العرب" ٤١٦/١٢، "المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية ١٥٥/٢.

(٣) للعلم معاني غير ذلك في الاصطلاحات الأخرى فليتنبه القارئ الكريم.

(٤) مناهل العرفان "للشيخ الزرقاني ١١/١.

(١) ١٧، ١٨ / القيامة.

والقائلون بأنه غير مهموز اختلفوا في أصل اشتقاقه :

١. فقال قوم منهم "الأشعري" هو مشتق من "قرنت الشيء بالشيء" إذا ضحت أحدهما إلى الآخر وسمى به "القرآن" لقرآن السور والآيات والحروف فيه.

٢. وقال "الفراء": هو مشتق من "القرائن" لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن أي أشباه ونظائر.

وعلى هذين القولين: فنونه أصلية، بخلاف على القولين الأولين فنونه زائدة ويكون وزنه على هذين فُعال .

رأي خامس: مقابل للأقوال السابقة :

وهو أنه اسم علم غير منقول، وضع من أول الأمر علماً على الكلام المنزل على سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو غير مهموز وهذا القول مروي عن الإمام الشافعي، أخرج البيهقي والخطيب وغيرهما عنه: أنه كان يهمز قراءة ولا يهمز "القرآن" ويقول: "القرآن" اسم وليس بمهموز ولم يؤخذ من قراءة، ولكنه اسم للكتاب الله مثل التوراة والإنجيل. وبالتخفيف قرأ ابن كثير واحد، أما بقية السبعة فقرأ وبالهمزة .

رأي سادس :

يرى بعض الباحثين[1]: أن "قرآن" مأخوذ من "قرأ" بمعنى "تلا" وهذا الفعل أصله في اللغة الآرامية ثم دخل العربية قبل الإسلام بزمن طويل ولو صح هذا، فلا ضير فيه؛ لأن هذه الكلمة وأمثالها ــ وإن كانت في الأصل أعجمية ــ فقد صارت بعد التقريب عربية الاستعمال وبإخضاعها لأصول العرب في نطقهم ولغتهم واندمجت فيها حتى صارت جزءاً منها فنزل القرآن بها، وهي على هذا المحال، وهذا القول لا يخرج عما ذكره اللحياني فهو مكمل له؛ لأنه ليس في كلام اللحياني ما ينفي أن يكون أصل الكلمة من اللغة الآرامية.

ومما يقوي مذهب القائلين بالهمز أنهم خرجوا التخفيف تخريجاً علمياً صحيحاً، ولا أدري ماذا يقول القائلون بالرأي الأخير في توجيه قراءة لفظ "القرآن" بالهمز، مع أن عليها معظم القراء السبعة، كما ذكرنا آنفاً ![1]أ . هـ.

وبعد فهذه أقوال ستة أحراها بالقبول القول الأول القائل بأنه مصدر قرأ؛ لأنه يستند إلى جمهرة القراء واللغة وموارد الاشتقاق، بل قد شهد له القرآن والسنة وما ورد من شعر الحرب.

ثم يليه القول الثاني القائل بأنه وصف علي "فُعلان" من القرء.

---

(١) وهو الأستاذ عبد الوهاب حمودة في "مجلة لواء الإسلام" العدد الأول من السنة الأولى ص ٢٨.

(١) "المدخل لدراسة القرآن الكريم" أ . د . محمد بن محمد أبو شهبة / ص ١٩ ــ ٢١ بتصرف.

إذاً يتلخص مما سبق بيانه في أصل القرآن لغة أن لفظ القرآن قالوا عنه: مهموز، غير مهموز، مصدر، مشتق، غير منقول، عربي، معرب.

والصحيح: "أن القرآن في الأصل مصدر قرأ مرادف للقراءة وقد نص بالكتاب المنزل على سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فصار له كالعلم"[٢] هذا عن "المضاف إليه" وهو لفظ "القرآن" من المركب الإضافي "علوم القرآن" من حيث اللغة، أما في اصطلاح الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية فهو: "كلام الله المنزل على نبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ المعجز بسورة منه، المتعبد بتلاوته، المثبت في المصاحف من أول سورة الفاتحة حتى سورة الناس، المنقول إلينا متواتراً"[١].

علوم القرآن بالمعنى الإضافي:

والآن قد وضح لنا المراد من كل طرفي "المركب الإضافي"، حيث إن الإضافة التي بينهما تشير إلى كل المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن، ومن ثَم جُمع لفظ "علوم" ولم يفرد، لأن المراد شمول كل علم يبحث في القرآن من أي ناحية من نواحية المتعددة، فيشمل ذلك " علم التفسير" و "علم الرسم العثماني" و "علم القراءات" .....إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة التي توسع العلماء في بحثها وأفردوا لها المؤلفات المتكاثرة، ويكون موضوعه: هو القرآن الكريم من ناحية تفسيره، أو من حيث رسمه، أو من حيث طريقة أدائه ....وهكذا فتأتي بأو التي تدل على أنها علوم متعددة[٢].

علوم القرآن بالمعنى اللقبي: أي الفن المدون :

ثم اختصرت هذه المباحث والعلوم المتعددة، وجمعت جُلّ أصولها ومسائلها في "كتاب واحد" وصار هذا العنوان "علوم القرآن"[٣] علماً ولقباً لهذه المباحث المدونة في موضع واحد بعد أن كانت مبعثرة في عشرات الكتب، وصار علماً واحد بعد أن كان جملة من العلوم، وبذلك يمكننا أن نعرف هذا الفن بمعناه "العلمي" ــ بفتح العين واللام ــ بأنه: (علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابته وجمعه وقراءته .... إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم"، وموضوع هذا العلم القرآن الكريم من هذه النواحي كلها السابقة في تعريفه بخلاف "علوم القرآن" بالمعنى الإضافي، فإن موضوع كل علم منها إنما هو القرآن الكريم من هذه الناحية فحسب، فعلم "التفسير" مثلاً موضوعه: القرآن الكريم من حيث بيان شرحه ومعناه والمراد منه بقدر الطاقة البشرية،

---

[٢] "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني ص ٤٠٢.

[١] "الوجيز في أصول الفقه " د / عبد الكريم زيدان ص ١٥٢، "مناهل الصرفان" ١/١٥.

[٢] "المدخل لدراسة القرآن الكريم" ص ٢٥، ٢٦ بتصرف يسير.

[٣] (ولعل الإبقاء على الجمع بعد صيرورته علماً واحداً لمحاً للأصل، وللإشارة إلى أنه خلاصة علوم كثيرة تجمعت في مصب واحد وهو هذا العلم) أ . هـ "المدخل" هامش (١) ص ٢٦.

وعلم "القراءات" موضوعه القرآن الكريم من حيث لفظه وآدائه .... وهكذا، وعلى هذا نقول: موضوع علوم القرآن بمعناه العلمي هو القرآن الكريم من حيث جمعه، وتفسيره، ورسمه، وقراءاته ... وهكذا فنأتي "بالواو" ولا يأتي "بأو"[1].

المراد بالشبهات المثارة حديثاً حول علوم القرآن الكريم: بعد تعريف "الشبهات" وتعريف "علوم القرآن الكريم" أستطيع القول بأن المراد بـ "الشبهات المثارة حديثاً حول علوم القرآن الكريم": ما أثاره أعداء الإسلام على مختلف طوائفهم وعقائدهم في هذه الأيام حول علوم قرآن رب الأنام من قضايا ومسائل وأسئلة التبست واختلطت عليهم بقصد وبغير قصد.

وهذه الشبهات في حقيقتها امتداء لما آثاره أعداء الإسلام قديماً حول القرآن الكريم منذ نزوله، غير أن المعتدين من أعداء الإسلام اليوم يجنحون من خلال ذلك إلى إسقاط القرآن المبين وحجب أنواره وهداياته عن العالمين، لا سيما وأن القرآن لا يفهم إلا من خلال علومه، وكيف نفهم مرامي ومعاني مبانيه ــ مثلاً ــ بدون علم التفسير وأصوله !

وعلى الرغم من كل هذه المحاولات إلا أنها باءت ومازالت تبوء بالفشل مصداقاً لقول الله عز وجل ــ: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "[1] وقوله: " يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ "[2].

وفيما يلي أذكر ــ بعون الله ــ بعض هذه الشبهات، ثم أرد عليها فأقول وأسأل الله تعالى ــ التوفيق والقبول:

الشبهة الأولى: "إسقاط القراءات القرآنية" :

يقول المستشرق "جولد تسيهر": (والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة قد يقرأ بأشكال مختلفة ــ تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل ــ أي الحركات ــ في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطة أو شكله من القرآن) [3] أ . هـ.

---

(1) " المدخل لدراسة القرآن الكريم" ص ٢٦. ٢٧ باختصار.

(1) ٩ / الحجر.

(2) ٣٢/ التوبة.

(3) "المذاهب الإسلامية" لجولد تسيهر / ترجمة د / محمد يوسف موسى ص ٤.

الرد على هذه الشبهة:

الرد يكون من الوجوه الآتية :

الوجه الأول: يحاول هذا الأثيم إخراج القراءات القرآنية من كونها وحسياً من عند الله إلى كونها تخيلات توهمها على المسلمين ومن ثم يجنح إلى ردها وإسقاطها :

إن المتأمل في كلامه المذكور آنفاً يدرك أن الرجل يريد أن يقول في دهاء وخبث: إن هذه القراءات تحريفات معترف بها لدى المسلمين خاصتهم وعامتهم، وأن النصوص الإلهية المنزلة على رسولهم أصابها بعض الضياع، إنه لم يقل صراحة بالتحريف وإنما وضع المبررات لوجود التحريف في القرآن الحكيم، ثم أخذ ــ بعد ذلك ــ يورد أمثلة من القراءات وينسبها إلى السببين اللذين تقدم ذكرهما، وهما:

١ ــ تجرد المصحف من النقط في أول عهده.

٢ ــ تجرد كلماته من ضبط الحروف.

فإلى السبب الأول نسب قوله تعالى: "ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون"[١].

والشاهد في كلمة "تستكبرون" وهي قراءة الجمهور، وقد قارنها جولد تسيهر بقراءة شاذة "تستكثرون" بإبدال الباء ثاء، يريد أن يقول: إن الكلمة كانت في الأصل "يستكبرون" غير منقوطة الحروف الأول والثالث والخامس فاختلف في قرائتها: فمنهم من قرأ الخامس "باء" والأول تاء فنطقه: تستكبرون، ومنهم من قرأ الخامس "ثاء" فنطق "تستكثرون" هذا هو سبب هاتين القراءتين عنده.

وكذلك قوله تعالى: "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه"[١]، والشاهد في كلمة "إياه" ضمير نصب منفصل للمفرد الغائب الذكر، ثم قارنها بقراءة شاذة لحماد الراوية هكذا "اباه" بإبدال "الياء" من "إياه" "باء" "اباه" أي وعدها إبراهيم ــ عليه السلام ــ أباه![٢].

أما اختلاف القراءات للسبب الثاني، وهو تجرد كلمات المصحف عن الضبط بالحركات، فمن أمثلته عنده قوله تعالى: "وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ " حيث قارن بين قراءاتها الثلاث: "مَنْ عِهْدَهُ" ــ "مِنْ عِنْدِه" ــ مَنْ عِنْدِه" ؟ !.

---

(١) ٤٨ / الأعراف.

(١) ١١٤/ التوبة.

(٢) "رسم المصحف" د/ عبد الفتاح شلبي / ص ٣٠.

هذا هو منهجه في إخراج القراءات القرآنية من كونها وحياً من عند الله إلى كونها أوهاماً كان سببها نقض الخط العربي الذي كتب به المصحف أولاً عن تحقيق الألفاظ من حيث حروفها ومن حيث كيفية النطق بها واقتضى أثره كثير من المبشرين والمستشرقين[٣].

الثاني:

مما يدفع هذا الافتراء أن القرآن المبين وصل إلى المسلمين منذ نزوله إلى الآن عن طريق السماع والتلقي الموثوق به :

لقد حظي كتاب الله العزيز بعناية منقطعة النظير في حياة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبعد وفاته، ومن الحقائق الراسخة رسوخ الجبال أن طريق تلقي القرآن كان هو السماع الصوتي .

- سماع صوتي من سيدنا جبريل لسيدنا محمد عليهما السلام.
- وسماع صوتي من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى كتبة الوحي أولاً وإلى المسلمين عامة.
- وسماع صوتي من كتبة الوحي إلى الذين سمعوه منهم من عامة المسلمين.
- وسماع صوتي حتى الآن من حفظة القرآن المتقنين إلى من يتعلمونه منهم من أفراد المسلمين.

هذا هو الأصل منذ بدأ القرآن ينزل إلى هذه اللحظة وإلى يوم الدين في تلقي القرآن من مرسل إلى مستقبل.

وليست كتابة القرآن في مصاحف هي الأصل، ولن تكون، القرآن يجب أن يُسمع بوعي قبل أن يقرأ من المصحف، ولا يزال متعلم القرآن في أشد حاجة إلى سماع القرآن من شيوخ حافظين متقنين وفي القرآن عبارات أو كلمات مستحيل أن يتوصل أحد إلى نطقها الصحيح عن مجرد القراءة في المصحف ولو ظل يعلمها وحده أياماً وأشهراً.

وبهذا تهوي الأفكار التي أرجع إليها جولد تسيهر نشأة القراءات إلى الخضيض، ولا يكون لها أي وزن في البحث العلمي المقبول؛ لأن المسلمين من جيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان لم يتعلموا القرآن عن طريق الخط العربي من القراءة في المصاحف، وإنما تعلموه سماعاً واعياً ملفوظاً كما خرج من فم سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم

(٣) هذا رد من ردود فضيلة أ. د. عبد العظيم المطعني على هذه الشبهة الآثمة في كتاب حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين إشراف أ. د/ محمود حمدي زقزوق / ص ٤٦، ٤٧/ إصدار وطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة / ط٣ / ١٤٢٦ هـ.

قيض الله كتابه شيوخا أجلاء حفظوه وتلوه غضا طريا كما كان صاحب الرسالة يحفظه ويتلوه كما سمعه من جبريل أمين الوحي.

أجل ... كان سيكون لأفكار جولد تسيهر وجه من الاحتمال لو كان المسلمون يأخذون القراءة قراءة من مصاحف، أما وقد علمنا أن طريق تلقي القرآن هو السماع الموثق، فإن أفكار جولد تسيهر تذهب هباءً في يوم ريح عاصف[١].

الثالث :

مما يرد هذه الشبهة الأثمة أيضاً أن القراءات الصحيحة وصلت إلى المسلمين منذ نزول القرآن إلى الآن عن طريق التلقي والسماع الموثوق به :

إن القراءات الصحيحة مسموعة من سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومسموعة من سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكتبة الوحي، ومسموعة من محمد ومن كتبة الوحي لعموم المسلمين في صدر الإسلام الأول، ثم شيوخ القرآن في تعاقب الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد سمع المسلمون من رسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ المعصوم عن الخطأ في التبليغ "فتبينوا" و "فتثبتوا" في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا "[٢] بالباء والياء والنون، وسمعوها منه ـ صلى الله عليه وسلم "فتثبتوا" بالتاء والثاء والباء والتاء، وكلا القراءتين قرآن موحى به من عند الله، وليس كما توهم جولد تسيهر إنهما قراءتان ناشئتان عن الاضطراب الحاصل من خلو كلمات المصحف من النقط والشكل في أول أمره !.

والقراءتان، وإن اختلف لفظاهما، فإن بين معنييهما علاقة وثيقة كعلاقة ضوء الشمس بقرصها؛ لأن التبين، وهو المصدر المتصيد من "فتبينوا" هي التفحص والتعقب في الخبر الذي يذيع الفاسق بين الناس، وهذا البين هو الطريق الموصل للتثبت فالتثبت هو ثمرة التبين ومن تبين فقد تثبت، ومن تثبت فقد تبين

فما أروع هذه القراءات ورب الأرض والسماوات وما فيها وما بينهما، إن قراءات القرآن لها وجه شديد الإشراق من وجوه إعجاز القرآن، وإن كره الحاقدون.

وكما سمع المسلمون من فم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي لا ينطق عن الهوى في الآية السابقة: "فتبينوا" و "فتثبتوا" سمعوا منه كذلك: "يُفصل" و "نفصل" في قوله تعالى: " مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "[١] و " نُفَصِّلُ الْآيَاتِ

---

(١) د / عبد العظيم المطعني في رده على هذه الشبهة في "المعجز في العلوم" ص ٤٧.

(٢) ٦ / ق

(١) ٥ / يونس

" وفاعل الفصل في القراءتين واحد وهو الله عز وجل ــ وقد اختلف التعبير عن الفاعل في القراءتين، فهو في القراءة الأولى "يفصل" ضمير مستتر عائد على الله ــ عز وجل ــ في قوله: "ما خلق الله ذلك إلا بالحق" أي يفصل هو الآيات، فالفاعل هنا مفرد لعوده على مفرد "الله" وفي القراءة الثانية عُبر عن الفاعل بضمير الجمع للمتكلم "نُفصل" أي نفصل نحن، والله واحد أحد، ولكن النون في "نفصل" لها معنى في اللغة العربية هو التعظيم إذا كان المراد منها فرداً لا جماعة، ووجه التعظيم بلاغة تنزيل الفرد منزلة "الجماعة" تعظيماً لشأنه، وإجلالاً لقدره.

وفي هاتين القراءتين تكثير للمعنى، وهو وصف ملازم لكل القراءات وللبلاغيين إضافة حسنة في قراءة "نفصل" بعد قوله تعالى: " مَا خَلَقَ اللَّهُ.." هي الانتقال من الغيبة في "مَا خَلَقَ اللَّهُ " إلى المتكلم في " نُفَصِّلُ " للإشعار بعظمة التفصيل وروعته.

وهكذا إن إرجاع القراءات القرآنية لطبيعة الخط العربي الذي كان في أول أمره خالياً من النقط والشكل، كما توهم "جولد تسيهر" ومن بعده "أثر جفري" في المقدمة التي كتبها للكتاب" المصاحف" لأبي داود السجستاني" وتابعهما المستشرق "جان بيرك"، إن هذه النظرية مجرد وهم ساندة جهل هؤلاء الأدعياء على الفكر الإسلامي، مبدؤه ومنتهاه الحقد على الإسلام و التطاول على القرآن لحاجات في نفوس "اليعاقيب"[1].

الرابع:

يدفع هذه الشبهة الجائرة وينسفها من أساسها جهود علمائنا الكرام في تمحيص القراءات ووضعهم الضوابط والمعايير الدقيقة لمعرفة صحيحها من سقيمها مما كان شائعاً وقت جمع القرآن في عهد سيدنا عثمان بن عفان، عليه من الله الرضوان:

وضع العلماء الأقدمون ضوابط محكمة للقراءات الصحيحة التي هي وحي من عند الله، وتلك الضوابط هي :

١. صحة السند، الذي يؤكد سماع القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢. موافقة القراءة لرسم المصحف الشريف، الذي أجمعت عليه الأمة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه ــ مع ملاحظة أن الصحابة الذين نسخوا القرآن في المصحف من الوثائق النبوية في خلافة سيدنا عمر ــ رضي الله عنه ــ نقلوه كما هو مكتوب في الوثائق بلا تغيير أو تبديل، ورسم المصحف الذي بين أيدينا الآية سنة نبوية لأن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أقر تلك الوثيقة واحتفظ بها في بيته حتى آخر يوم في حياته الطيبة.

---

[1] د / عبد العظيم المطعني في رده على هذه الشبهة في "حقائق الإسلام" ص ٤٨ ــ ٥٠.

ولذلك أجمع الأئمة ــ أصحاب المذاهب الفقهية ــ على تحريم كتابة المصحف في أي زمن من الأزمان على غير الرسم المعروف بالرسم العثماني للمصحف الشريف، ونقل هذا الإجماع عنهم كثير من علماء "تاريخ القرآن"(١).

٣. أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه تراكيب اللغة العربية لأن الله أنزل كتابه باللسان العربي المبين.

وهذه الشروط نظمها صاحب الطيبة فقال :

وكل ما وافق وجه النحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناداً هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة[١].

٤. أن يكون معنى القراءة غير خارج عن قيم الإسلام ومقاصده الأصول والفروع.

فإذا تخلف شرط من هذه الشروط فلا تكون القراءة مقبولة ولا يعتد بها.

وعملاً بهذه الضوابط تميزت القراءات الصحيحة من القراءات غير الصحيحة، أو ما يسمى بالقراءات الشاذة أو الباطلة. ولم يكتف علماؤنا بهذا، بل وضعوا مصنفات عديدة حصروا فيها القراءات الصحيحة ووجهوها كلها من حيث اللغة، ومن حيث المعنى، كما جمع العلامة ابن جني القراءات الشاذة، حاصراً لها، واجتهد أن يقومها تقويماً أفرغ ما ملك من طاقاته فيه، وأخرجها في جزءين كبيرين[٢].

أما ذو النورين عثمان بن عفان ــ عليه من الله الرضوان ــ حين أمر بنسخ الوثائق النبوية في المصاحف، فقد أراد منه هدفين، ننقل للقارئ الكريم كلاماً طيباً لسماحة الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله دراز ــ رحمه الله ــ في بيانهما إذ يقول: (وفي رأينا أن نشر المصحف بعناية عثمان كان يستهدف أمرين :

أولهما: إضفاء صفة الشرعية على القراءات المختلفة التي كانت تدخل في إطار النص المدون ــ يعني المصحف ــ ولها أصل نبوي مجمع عليه، وحمايتها فيه منعاً لوقوع أي شجار بين المسلمين بشأنها ؛ لأن عثمان كان يعتبر التماري ــ أي الجدال ــ في القرآن نوعاً من الكفر.

---

(١) منهم الشيخ / محمد طاهر الكردي في كتابه "تاريخ القرآن الكريم" ص ١٠٦، ١٠٧.

(١) "مناهل العرفان" ١/ ٢٨٩، كما ذكر هذه الشروط علماء علوم القرآن والمصنفين في القراءات وعلومها. منهم الإمام الزركشي في "البرهان" ١/ ٣٣١، والإمام ابن الجزري في "النشر في القراءات العشر" ١/ ١٩.

(٢) د / عبد العظيم في رده على هذه الشبهة في "حقائق الإسلام" ص ٥١.

ثانيهما: استبعاد مالا يتطابق تطابقاً مطلقاً مع النص الأصلي ــ "الوثائق النبوية" ــ وقاية للمسلمين من الوقوع في انشقاق خطير فيما بينهم، وحماية للنص ذاته من أي تحريف نتيجة إدخال بعض العبارات المختلف عليها نوعاً ما، أو أي شروح يكون الأفراد قد أضافوها إلى مصاحفهم) [1] أ.هـ.

هذه هي عناية المسلمين من الرعيل الأول بالقرآن الكريم وتعدد قراءاته وحماية كتاب الله من كل دخيل على نصوص الوحي الإلهي.

هذا وإذا كان جولد تسيهر وأثر جفري المبشر الإنجليزي وجان بيرك قد أجهدوا أنفسهم في أن يتخذوا من قراءات القرآن منفذاً للانقضاض عليه، والتشكيك فيه، قاصدين اسقاطه وإسقاط علومه لا سيما "القراءات القرآنية"، فإن غيرهم من المستشرقين المنصفين قد شهدوا للقرآن بالحق والصدق وأنه النص الإلهي الوحيد، الذي سلم من كل تحريف وتبديل، لا في جمعه، ولا في تعدد مصاحفه، ولا في تعدد قراءاته، وهذا ما أختم به ردي على هذه الشبهة الفاسدة في الوجه التالي.

الخامس:

شهادات المستشرقين المنصفين للقرآن المبين: وهي كثيرة ولله الحمد والمنة، منها :

*** شهادة المستشرق "إيرفنج" !**

يقول: (كانت التوراة فيوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه حتى إذا ظهر المسيح ــ عليه السلام ــ اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل، حوى القرآن كل شيء وحوى جميع القوانين، إذ إنه خاتم الكتب السماوية) [1] أ.هـ

*** شهادة "بوزار" :**

يقول: (لابد عند تعريف النص القدسي في الإسلام من ذكر عنصرين :

الأول: أنه كتاب منزل أزلي غير مخلوق.

الثاني: أنه "قرآن" أي كلام حي في قلب الجماعة ... وهو بين الله والإنسانية "الوسيط" الذي يجعل أي تنظيم كهنوتي غير ذي جدوى، لأنه مرضي به مرجعاً أصلياً، وينبوع إلهام أساسي .. وما زال حتى أيامنا هذه نموذجاً رفيقاً للأدب العربي، تستحيل محاكاته، إنه لا يحتل النموذج المحتذي للعمل الأدبي الأمثل وحسب، بل يمثل كذلك

---

[1] "مدخل إلى القرآن الكريم" ص ٤٣.

[1] "قالوا عن الإسلام" د / عماد الدين خليل ص ٣ نقلاً من كتاب "حياة محمد" لإيرفنج ص ٧٢.

مصدر الأدب العربي والإسلامي الذي أبدعة؛ لأن الدين الذي أوحى به هو في أساس عدد كبير من المناهج الفكرية التي سوف يشتهر بها الكتاب)[٢] أ هـ.

* شهادة الدكتور / "فيليب حتى" :

يقول: (إن الأسلوب القرآني مختلف عن غيره، ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر، ولا يمكن أن يقلد، وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن .. فمن جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكبرى) [١] أ . هـ.

الشبهة الثانية: "إسقاط الإعجاز العلمي في قرآن الله العلي" :

إن أعداء الإسلام يفترون الكذب على قرآن رب الأنام، ومن ذلك دعواهم بأنه يتعارض مع الحقائق الكونية الثابتة أو حقائق العلم التجريبي الحديث، ومن ثم فلا إعجاز علمي له ولا فيه، وعليه فإن القرآن ليس من كلام الله تعالى ــ لأن الله جل جلاله ــ يعلم كل شيء.

وقد أورد الأعداء أمثلة يؤيدون بها هذه الشبهة الآثمة، منها :

المثال الأول:

قول بعض زنادقة الأطباء :

(جاء في قرآنكم عن العسل: " فيه شفَاءٌ للنَّاس"[٢] وقد رأينا من ينفعه العسل ومن يضره فكيف يكون شفاءً للناس !، كَمَا أجمَع الأطباءَ على أن العسل يسهل فكيف يصفه نبيكم لمن به الإسهال في قوله حينما أتاه رجل فقال له: أخي يشتكي بطنه، فقال نبيكم: "اسقه عسلاً")[٣].

المثال الثاني:

قول اليهود: (قرر القرآن أن جبل "ق" يحيط بالأرض كلها وذلك في أول سورة "ق" في قوله تعالى: " ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ "[١] أ. هـ.

---

[٢] "قالوا عن الإسلام" د / عماد ص ٧ نقلاً من كتاب "إنسانية الإسلام" لبوازار ص ٥٢، ٥٣.

[١] "قالوا عن الإسلام" د/ عماد ص ١١ نقلاً عن د / فيليب في كتابه: "الإسلام منهج حياة" ص ٦٢.

[٢] ٦٩ / النحل.

[٣] "الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي ٣٧٥٣/٦ بتصرف، والحديث رواه البخاري في صحيحة / ك الطب رب الدواء بالعسل / ح رقم ٥٦٨٤ عن سيدنا أبي سعيد الخدري أن رجلاً أتى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال: أخي يشتكي بطنه فقال: "اسقه عسلاً" ثم أتي الثانية فقال: "اسقه عسلاً" ثم أتاه الثالثة، فقال: " اسقه عسلاً" ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال: "صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً" فسقاه فبرأ" ورواه أيضا الإمام مسلم في صحيحة / ك السلام / ب التداوي بسقي العسل / ح رقم ٢٢١٧ ١١٢١ / ق.

[١] "رد مفتريات على الإسلام" لعبد الجليل شلبي ص ١٤٢.

المثال الثالث :

قول المستشرق ميلر بروز: (من الذائع المشهور أن النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم تخالف كل المخالفة ما هو مقرر في الكتاب المقدس وفي القرآن من أن الله خلق العالم في ستة أيام، صحيح أن القرآن يقرر أن يوماً عند الله كألف سنة مما يعد الإنسان ولكن هذا لا يحل المعضلة، فإن فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة)[٢] أ . هـ.

المثال الرابع :

قول ميلر بروز أيضاً: (الإنسان نفسه لم يخلقه الله دفعة واحدة منفصلاً عن خلق الحيوان، ولكنه جاء نتيجة لتطور طويل من الأشكال الدنيا للحياة، فكيف إذن نتغلب على هذا الإشكال)[٢] أ . هـ.

المثال الخامس: د / محمد أحمد خلف الله:

يقول د / محمد أحمد خلف الله في قول الله تعالى: "حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا "[١]: (بأن للعقل الإسلامي أن مسألة غروب الشمس في عين حمئة لا تستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون)[٢] أ.هـ.

الرد على هذه الشبهة :

الرد يكون من الوجوه التالية :

الوجه الأول: علمي ذي بدأ لابد من عرض بعض الضوابط والقواعد الهامة للرد على هذه الشبهة وهي كما يلي :

أ- **لابد أن تكون هذه المعلومات التجريبية وصلت مرحلة الحقيقة العلمية المستقرة المتفق عليها[٣]، فلا يجوز أن نجادل القرآن بنظريات تفسرية لبعض ظواهر الكون، أو أن القضية العلمية عبارة عن تجارب لم تصل إلى حد الحقيقة الثابتة القطعية، مثل النظرية التي ذكرتها آنفاً والتي رددها" ميلر بدور" وهي تفيد أن أصل الإنسان قرد، ثم مر بمراحل حتى وصل إلى هذا المستوى، ومن ثم فهي تتعارض مع كون ابتداء**

---

[٢] "المدخل إلى علم التفسير" أ. د بلتاجي ص ٢٠٣ نقلاً عن أ . ميلر بروز ــ رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه وأستاذ الفقه الديني الإنجليزي في جامعة ييل ــ في بحث له بعنوان: "مقترحات في موضوع العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام".

[٣] "المدخل إلى علم التفسير" ص ٢٠٣.

[١] ٨٦ / الكهف.

[٢] "الفن القصصي في القرآن" د / محمد أحمد خلف الله ص ٣٤.

[٣] "التفسير والمفسرون" للإمام الذهبي ٢/٤٧٠، و "المدخل إلى علم التفسير" أ . د بلتاجي ص ٢٦، و ص٢٠٨.

خلق الناس كان من سيدنا آدم ــ عليه السلام ــ الذي خلقه ربنا ــ سبحانه وتعالى ــ مرة واحدة من تراب دون تطور من قرد ولا غيره.

ب- لابد أن يكون هذا التعارض من كل وجه بحيث لا يكون اللفظ مشتركاً بين عدة معان، ومن هذه المعاني معان لا تخالف العلم، مثل: دعوى أن الأرض تدور حول الشمس والتي تبدو متعارضة مع قول الله ــ تعالى ــ: "وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم"[١]، إذ يبدو من ظاهر الآية نسبة فعل الدوران للشمس، لكن في الحقيقة هذا غير صحيح؛ لأن اللفظ ليس قاطعاً في هذا المعنى، بل إن الله ــ عز وجل ــ ابتدأ الآية يقول: "وَتَرَى الشَّمْسَ "، أي أن هذا الأمر بالنسبة لرؤية الإنسان، وسياق الآية كما هو ظاهر ليس مقصوداً في إثبات دوران الأرض حول الشمس أو العكس، ومن هنا فلا ينبغي تحميل النص مالا يحتمل. إذا كانت المسألة في حقيقة علمية ثابتة، وهي تتعارض مع نص قرآني من كل وجه، فهنا تحصل المناقضة، ولن يحدث هذا البتة لأن القرآن الكريم لا يتعارض أبداً مع الحقائق العلمية الثابتة.

ج- لا تعارض شرعاً ولا عقلاً بين القرآن الكريم والحقائق العلمية الثابتة القطعية التاريخية:

إن القرآن الكريم والعلم الصحيح الثابت لا يمكن ــ شرعاً ولا عقلاً ــ أن يتعارضا؛ لأن مصدرهما واحد وغايتهما واحدة، فمصدرهما هو الله ــ سبحانه وتعالى ــ فهو الذي خلق هذا الكون وما فيه من علوم ومعارف، وهو الذي شرع هذا الدين وما فيه من أحكام وأخبار وما كان من الله ــ عز وجل ــ فإنه لا يتعارض، وصدق الله ــ عز وجل ــ إذ يقول: "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"[٢]، (فالقرآن والكون ــ هما مصدر الحقائق الدينية والعلمية ــ كلاهما من عند الله وصنعه، أنزل القرآن بالحق كما خلق الكون بالحق[١]، فلا ينبغي للإنسان طلب الحق إلا فيهما، ومن ثم لا يتصور تصادم الحق مع نفسه)[٢].

ويتفقان أيضاً في الغاية والهدف، وهو إسعاد البشرية وتذليل صعوبات الحياة، فما اتفقا في المصدر والغاية لا يمكن أن يتعارضا فيما بين ذلك، فالعلم الصحيح لا يعارض القرآن، بل هي أخوان متعاونان[٣] وصنوان لا ينفصلان والله أعلم.

* * *

---

(١) ١٧/ الكهف.

(٢) ٨٢ / النساء.

(١) أقول: ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا " ١٠٥/ النساء، وقوله: " خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ " ٣/ التغابن.

(٢) "اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر" د / شريف ص ٦٣٩.

(٣) "اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر" ص ٦٢٨.

الثاني: الرد على المثال الأول

أ- قول بعض زنادقة الأطباء عن العسل :

(جاء في القرآن عن العسل: "فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ "[1] وقد رأينا من ينفعه العسل ومن يضر فكيف يكون شفاءً للناس ؟)

يقصدون به تعارض القرآن في قضية الشفاء بالعسل مع الواقع العملي الموس المشهود ومع ما توصل إليه الطب الحديث من أن العسل قد ينفع وقد يضر، وما دام ذلك كذلك فكيف يخبر القرآن عنه بأنه فيه شفاءً للناس ؟.

إذاً القرآن يعارض الواقع والطب الحديث، ومن ثم يعارض الحقائق العلمية الثابتة مما يدل على أنه ليس من كلام الله تعالى.

هذا ما يريدون، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وتنزه القرآن عما يفترون تنزيهاً عظيماً.

وقد أجاب الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ عن قولهم هذا بما نصه :

(إن قال قائل: قد رأينا من ينفعه العسل ومن يضره فكيف يكون شفاءً للناس ؟ قيل له: الماء حياة كل شيء وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يضاده من علة في البدن وقد رأينا شفاء العسل في أكثر هذه الأشربة، قال: معناه الزجاج، وقد اتفق الأطباء عن بكرة أبيهم على مدح عموم منفعة السكنجبين ــ شراب مخلوط من عسل وخل ــ في كل مرض وأصله العسل وكذلك سائر المعجونات، على أن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد حسم داء الإشكال وأزاح وجه الاحتمال حين أمر الذي يشتكي بطنه بشرب العسل فلما أخبره أخوه بأنه لم يزده إلا استطلاقاً أمره بعود الشراب له فبرئ وقال ــ صلى الله عليه وسلم: "صدق الله وكذب بطن أخيك"[1] أ.هـ.

ب- اعتراض بعض زنادقة الأطباء على الآية الكريمة السابقة والحديث النبوي السابق بقولهم: (قد أجمع الأطباء على أن العسل يُسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال ؟) ينجحون منه إلى مثل ما يقصدون من قولهم السابق كما بينته آنفاً، والجواب على قولهم هذا كما يقول الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ: (أن قول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حق في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه ــ عليه السلام ــ فيستعمله على الوجه الذي عينه وفي المحل الذي أمره بعقد نية وحسن طوية، فإنه يرى منفعته ويدرك بركته، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم، وأما ما حكى من

---

(1) ٦٩/ النحل.

(1) "الجامع لأحكام القرآن" ٦/٣٧٥، وقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ جزء من الحديث الذي سبق تخريجه في

الإجماع فدليل على جهله بالنقل، حيث لم يقيد وأطلق، قال الإمام أبو عبد الله المازري: ينبغي أن يعلم أن الإسهال يعرض من ضروب كثيرة، منها: الإسهال الحادث عن التخم والهيضات ــ جمع هيضة وهي انطلاق البطن ــ والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن يترك للطبيعة وفعلها، وإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية، فأما حبسها فضرر، فإذا وضح هذا قلنا: فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصابه الإسهال عن امتلاء وهيضة، فأمره النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشرب العسل، فزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال، فوافقة شرب العسل، فإذا خرج هذا عن صناعة الطب أذن لك بجهل المعترض بتلك الصناعة، قال: ولسنا نستظهر على قول نبينا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن يصدقه الأطبا، بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرناهم وصدقناه، فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه فنفتقر حينئذ إلى تأويل كلام سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتخريجه على ما يصح، إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب)[1].

ويقول الإمام ابن عاشور ــ رحمه الله ــ: (جعل الشفاء مظروفاً في العسل على وجه الظرفين المجازية، وهي الملابسة للدلالة على تمكن ملابسة الشفاء إياه، وإيماء إلى أنه لا يقتضي أن يطّرد الشفاء به في كل حالة من أحوال الأمزجة، أو قد تعرض للأمزجة عوارض نصير غير ملائم لها شرب العسل فالظرفية تصلح للدلالة على تخلف المظروف عن بعض أجزاء الظرف لأن الظرف يكون أوسع من المظروف غالباً، شبه تخلف المقارنة في بعض الأحوال بقلة كمية المظروف عن سعة الظرف في بعض أحوال الظروف ومظروفاتها، وبذلك يبقى تعريف الناس على عمومه، وإنما التخلف في بعض الأحوال العارضة، ولولا العارض لكانت الأمزجة كلها صالحة للاستشفاء بالعسل، وتنكير "شفاء" في سياق الإثبات لا يقتضى العموم فلا يقتضى أنه شفاء من كل داء، كما أن مفاد "في" من الظرفية المجازة لا يقتضي عموم الأحوال وعموم التعريف في قوله تعالى: "للناس" لا يقتضي العموم الشمولي لكل فرد فرد، بل لفظ "الناس" عمومه بدلي، والشفاء ثابت للعسل في أفراد الناس بحسب اختلاف حاجات الأمزجة إلى الاستشفاء)[2].

ج- يرد الإمام ابن حزم ــ رحمه الله ــ على قول هؤلاء الزنادقة في شخص "ابن النغريلة اليهودي" فيقول: (لو كان مع هذا الجاهل الأنوك أقل معرفة بطبائع الإنسان أو فهم مخارج اللغة العربية لم يأت بهذا البرسام، أما اللغة فإن الله تعالى لم يقل: العسل شفاء لكل علة، وإنما قال تعالى: "فيه شفاء للناس"، وهذا لا ينكره إلا رفيع سليب العقل والحياء أو موسوس لأن منافع العسل وشفاءه في إنحان المبرودين وتقطيع البلغم وتقوية الأعضاء حتى صار لا يطبخ أكثر الأشربة إلا به ولا يعجن جميعه

(١) "الجامع لأحكام القرآن" ٦/٣٧٥٣، ٣٧٥٤ بتصرف يسير.

(٢) "التحرير والتنوير" ٨/٨٠، ٨١.

اللعوقات إلا به، وما وصف جالنيوس وبقراط، وهما عميدا أهل الطب، طبخ شيء من الأشربة إلا به جملة، وكيف ينكر هذا الأنوك أن يكون العسل شفاءً محضاً، وهي أغلب أموره ؟ فكيف لا يكون به شفاء وهم يصفون عن نبي من أنبيائهم أنه شفي أكلة في عضو إنسان بتين مدقوق وجعله عليه، فإذا كان في التين شفاء من بعض العلل فكيف ينكر هذا الخسيس أن يكون في العسل أشفية كثيرة ؟

وقد وجدنا في اختلاطهم الذي يسمونه "توراة" عن الله تعالى ــ في عدة مواضع أنه إذا بلغ الغاية في مدح أرض القدس التي وعدهم بها قال: إلا أنها أرض تنبع عسلاً ولبناً ووعدهم فيها بأكل عسل الصخور، أفترى إذ ليس في العسل شفاء أصلا، إنما وعدهم تعالى بما فيه الداء والبلاء، لا بما فيه الشفاء، هذا مع إنكار العيان وجحد الضرورات في منافع العسل)[1] أ.هـ.

د- كما يرد الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ أيضاً مبيناً عظمة وجلالة الطب النبوي وأنه لا ينتفع به إلا من تلقاه بالقبول واعتقد الشفاء به، إذ يقول ما نصه: (وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه لم يذله بالكلية، وإن جاوزه أو هي القوى فأحدث ضرراً آخر، فمتى أمره ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يسقيه العسل سقاه مقداراً لا يفي بمقاومة الداء ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر تردده إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء بدأ بإذن الله، واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها، ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب، وفي قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: "صدق الله وكذب بطن أخيك" إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكذب البطن وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة، وليس طبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كطب الأطباء، فإن طب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره أكثر حدس وظنون وتجارب ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرض بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان الإذعان، فهذه القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور ــ إن لم يتلق هذا التلقي ــ لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم، ومرضاً إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب

[1] "الرد على ابن القرنفلية" ص ٥٥، ٥٦.

النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء ولكن لخبث الطبيعة وفساد المحل وعدم قبوله والله الموفق)[١] أ.هـ.

هـ- بعد نقلي لردود العلماء على قول الزنادقة هذا أقول في الرد عليهم :

لا يتوقف صدق الله ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الإخبار عن الشفاء بالعسل، وغير ذلك من حقائق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على صدق الأطباء وغيرهم، بل يتوقف صدق الدنيا كلها على صدق الله ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن أصدق من الله قيلاً ؟ لا أحد !

ومن أصدق من سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد الله حديثاً ؟ لا أحد!

وإن كان بعض الزنادقة يحاولون إسقاط حقيقة الشفاء بالعسل، فإن المنصفين من الأجانب قد لجأوا وبعد إجراء تجارب كثيرة في العسل إلى الأخذ به كطب علاجي ووقائي لكثير من الأمراض، بل قد كتبت الكاتبة الأجنبة "إيفاكرين" كتاباً بعنوان: "العسل" وأنهت بحثها مشيرة إلى قول الله ــ عز وجل ــ: "فيه شفاء للناس"، فسبحان من كشف لنا ولهم هذه المعجزة وليتهم يدخلون في دين الله أفواجاً.

الثالث: الرد على المثال الثاني :

أ- قول اليهود: (قرر القرآن أن جبل"ق" يحيط بالأرض كلها وذلك في أول سورة "ق" في قوله تعالى: "ق والقرآن المجيد"[١].

وهذا خطأ؛ لأن العلم يبين أن أعلى قمة هسيس "إفرست") قول خرافي لا أساس له من الواقع المشاهد ومن ثم يسقط نهائياً.

فهذه خرافة مصدرها كتاب اليهود الذي يتحدث عن جبل قاف الخرافي، أما القرآن فلم يذكر جبالاً ولا قمماً، والحرف "ق" أحد الحروف المقطعة الكثيرة التي بدئت بها سور من القرآن مثل: ص، ذ، حم، الر ..... وهكذا.

ولكن الصيغة المادية البحتة التي تركتها التوراة المزيفة في ذهن القوم وجهت ذهنهم هذا الاتجاه المادي البحت، وإذا كانت هذه خرافة منشئها كتاب يهودي، فكيف يؤاخذ بها القرآن ؟ ! إن كتب اليهود هي كتب المسيحيين، فليوجه القوم اللوم إلى أنفسهم، أما أن يكونوا هكذا جاهلين، ثم يحملون جهلهم على القرآن فهذا مالا يقبله غير عقولهم[١].

---

(١) "زاد المعاد في هدى خير العباد" ٣/١١٠، "الطب النبوي" ص ٢٧، ٢٨.

(١) ١/ ق.

(١) "رد مفتريات على الإسلام" ص ١٤٢.

ب- يرد الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ على هذه الخرافة بقوله :

(قيل: إن "ق": اسم جبل محيط بالأرض عليه أطراف السماء وهو ضعيف لوجوه :

أحدها: أن القراءة الكثيرة الوقف، ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الإدراج؛ لأن من قال ذلك قال بأن الله تعالى أقسم به.

ثانيها: أنه لو كان كذلك لذكر بحرق القسم كما في قوله تعالى: "والطور" وذلك لأن حرف القسم يحذف حيث يكون المقسم به مستحقاً لأن يقسم به كقولنا: الله لأفعلن كذا، واستحقاق لهذا غني عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن أن يقال: زيد لأفعلن.

ثالثها: هو أنه لو كان كما ذكر لكان يكتب "قاف" مع الألف والفاء كما يكتب "عين جارية"[1] ويكتب "أليس الله بكاف عبده"[2]. وفي جميع المصاحف يكتب حرف "ق".

رابعها: هو أن الظاهر أن الأمر فيه كالأمر في "ص، ن، حم" وهي حروف لا كلمات وكذلك ف "ق")[3] أ. هـ.

ج- بين بطلان هذه الخرافة الأستاذ الدكتور / أبو شهبة إذ يقول:

(كل ذلك كما قال القرافي: لا وجود له، ولا يجوز اعتماد ما لا دليل عليه، وهو من خرافات بني إسرائيل الذين يقع في كلامهم الكذب والتغيير والتبديل، وإذا جاز هذا في عصور الجهل والخرافات فلا يجوز اليوم، وقد أصبح رواد الفضاء يطوفون حول الأرض، ويدونها معلقة في الفضاء لا عند ولا جبال ولا بحار ولا صخرة استقرت عليها الأرض، فهذه الإسرائيلية مخالفة للحس والمشاهدة قطعاً، فكيف نتعلق بها)[4] أ. هـ.

د- رحم الله العلامة الألوسي حيث قال في رده على هذه الخرافة:

(والذي أذهب غليه: ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحسن، فقد قطعوا هذه الأرض :برها وبحرها على مدار السرطان مرات، فلم يشاهدوا ذلك، والطعن في الأخبار الواردة بذلك أهون من تكذيب الحسن)[5]، ولا أدري لو أن الإمام الجليل الآلوسي عاش في عصرنا هذا ووقف على ما وقفنا عليه من عجائب الرحلات الفضائية، ماذا كان يقول ؟ إن كل مسلم ينبغي أن يكون له من العقل الواعي المتفتح، والنظر الثاقب البعيد ما لهذا الإمام الكبير[1].

---

(1) ١٢/ الغاشية.

(2) ٣٦/ الزمر.

(3) "مفاتيح الغيب" ١٤٨/٢٨/١٤.

(4) "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" ص ٣٠٢، ٣٠٣ بتصرف واختصار.

(5) "روح المعاني" ١٧٢/٢٦ بتصرف يسير.

(1) "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" ص ٣٠٣، ٣٠٤.

٥- أختم الرد على هذه الخرافة بقول الحافظ الناقد البصير الإمام ابن كثير ــ رحمه الله ــ الذي سبق العلاة الآلوسي بنحو خمسة قرون[٢]، إذ يقول: (هذا ــ والله أعلم ــ من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة ــ مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها ــ أحاديث عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما بالعهد ن قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعة وتبديل كتب الله وآياته!)[٣].

الرابع: الرد على المثال الثالث :

يقول المستشرق مليربروز: (من الذائع المشهور أن النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم تخالف كل المخالفة ما هو مقرر في الكتاب المقدس، وفي القرآن من أن الله خلق العلم في ستة أيام، صحيح أن القرآن يقرر أن يوماً عند الله يخالف سنة مما يعد الإنسان ولكن هذا لا يحل المعضلة، فإن فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة) أ.هـ.

ويرد عليه بما يلي :

(أ) في كثير من السور القرآنية تتحدث آيات كثيرة عن خلق الله ــ سبحانه وتعالى ــ السماوات والأرض وتقدير ما فيهما في ستة أيام ... ومن هذه الآيات: قوله تعالى: "وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام"[١] وقوله: "الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام"[٢].

وليس هناك تعارض بين تحديد زمن الخلق للسماوات والأرض في ستة أيام، وبين ما يراه العلم من استغراق ذلك الخلق بلايين السنين، ذلك أن المدى الزمني "لليوم" عند الله ــ سبحانه وتعالى ــ ليس هو المدى الزمني القصير "لليوم" في العرف والتقويم الذي تعارف عليه الإنسان في هذه الحياة الدنيا[٣]، وقد تجاهل هذه الحقيقة "ميلر" إذ يقول ــ كما تقدم آنفاً ــ: "صحيح أن القرآن يقرر أن يوماً عند الله كألف سنة مما يعد الإنسان، ولكن هذا لا يحل المعضلة"، بل لا توجد معضلة أصلاً؛ لأن في القرآن الكريم آيات كثيرة شاهدة على هذه الحقيقة، منها: قوله تعالى: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى

---

(٢) "تفسير القرآن العظيم" ٧/ ٣٩٤.
(٣) "تفسير القرآن العظيم" ٧/ ٣٩٤.
(١) ٧/ هود.
(٢) ٤ / السجدة.
(٣) "شبهات حول القرآن" د / محمد عمارة ص ١٣.

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[٤].

فبعض اليوم في حسان الإنسان ــ هنا ــ بلغ مائة عام .. أي قرابة ٣٧٠٠٠ يوم، أو كذلك المال في قصة أهل الكهف ... فما حسبوه يوماً أو بعض يوم قد بلغ ثلثمائة عام بالتقويم الشمس وثلثمائة وتسعة أعوام بالتقويم القمري "قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ "[١]، " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا . قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا "[٢]. وكذلك المال يوم ينفخ في الصور ــ يوم البعث ــ يحسب بعض المجرمين أن مكثهم في الدنيا لم يتجاوز عشر ليال .. بينما يحسب آخرون أن مكثهم لم يتعد اليوم الواحد: " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا . نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا "[٣].

أما عند الله ــ سبحانه وتعالى ــ فإن لمصطلح "اليوم" مدى لا يعلم حقيقة طوله وأمرع إلا هو: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ "[٤].

فالآية لا تحدده بألف سنة مما نعد نحن في تقويمنا .. وإنما استخدمت أداة التشبيه ــ الكاف ــ "كألف" ــ ليظل المدى غير معلوم لنا في هذه الحياة .. وغير ممكن التحديد بوحداتنا نحن في القياس الزمني .. فيوم الدين ــ الجزاء ــ ... وأيام الله .. والأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض .. مداها ــ بمقاييس أيامنا نحن ــ لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى .. ثم إن ما اكتشفه العلم من سرعات للصوت .. وسرعات للضوء .. وزمن الضوء ــ سنة ضوئية ــ يجعل تفاوت واختلاف المفاهيم والمقاييس لمصطلح "اليوم" أمراً مقرراً ومألوفاً[١].

---

(٤) ٢٥٩ /البقرة

(١) ١٩/الكهف.

(٢) ٢٥، ٢٦/ الكهف.

(٣) ١٠٢ ــ ١٠٤ / طه.

(٤) ٤٧ / الحج.

(١) "شبهات حول القرآن الكريم" ص ١٤.

(ب) يرد عليه فضيلة الأستاذ الدكتور البلتاجي فيقول:

(الآيات التي أشار إليها "ميلر بروز" تقرر أن الله تعالى ـــ خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش، لكنها لا تعرض لعمر الكون المخلوق منذ خلقه الله ـ تعالى ـ حتى يومنا هذا، لكن "ميلر بروز" في كلامه السابق يخلط بين الأمرين، مشيراً إلى "معضلة" لا وجود لها، حيث يتكلم عن "فترة الزمن المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، والتي لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة"، فمال الآيات القرآنية التي يشير إليها وعمر الكون ؟ !.

إنها تقرر فحسب الزمن الذي خلق الله ـ تعالى ـ فيه الكون دون أن تعرض لما بعد الخلق من الزمن الذي مر على الكون المخلوق حتى يومنا هذا، فالتناقض الذي يتكلم عنه هذا المستشرق إنما جاء نتيجة لخلطة بين الأمرين، وتحميل الآيات القرآنية غيرما تحمله من معنى، وذلك أمر غاية في الوضوح لكل من يراجع نصوص الآيات المشار إليها، ثم يراجع كلام المستشرق عنها.

إن "ميلر بروز" أو غيره لا يستطيع أن يعرض بشيء من التكذيب لما قررته هذه الآيات من أن الله ـ تعالى ـ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش؛ لأن فعل الخلق وزمانه سبقاً الوجود البشري، فلا يستطيع أحد إطلاقا أن يزعم أنه شهد ـ بأي وسيلة ـ أو رصد كيفية خلق السماوات والأرض وزمانه، وعلم البشر المادي ـ بكافة فروعه ـ نشأ بعد أن تم الخلق، وليس هناك أمامه سبيل ما لمعرفة تفصيلات خلق السماوات والأرض وما بينهما ـ من حيث الزمن ـ إلا ما أخبر به الوحي الصادق عن الله ـ تعالى ـ في هذه الآيات، وفيما يتصل بها من أحاديث نبوية صحت روايتها عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يملك الإنسان في علمه البشري وسيلة أخرى يسترجع بها كيفية الخلق أو زمانه ليقيس عليها، ورد في الوحي، ومن هنا لا يستطيع العلم البشري بحال أن يصل في هذه القضية إلى شيء يستند عليه في تكذيب ما ورد في الوحي ؛ لأن الوحي يتكلم هنا عن أمر "غيبي" لم يشهد البشر ولا يصل إليه علمهم المادي بحال، كما قال تعالى: " مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا"[1]، فكل زعم بمحاولة التشكيك في أن الله ـ تعالى ـ خلق السماوات والأرض في ستة أيام زعم باطل بدءاً، يستوي في بطلانه مع دعوى الكفار القدماء بأن الملائكة ـــ الذين لم يشهدوا خلقهم أو يحيطوا لهم علماً ـ إناث، وقد رد الله ـ تعالى ـ عليهم بقوله: "وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ"[2].

---

(١) ٣٠/ الكهف.

(٢) ١٩/ الزخرف.

أما ما يشير إليه "ميلر بروز" من "النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم" فليس في هذه النتائج ــ وهي محض فروض في ذاتها ــ ما يعرض لشيء عن مقدار الزمن الذي خلق الله فيه السماوات والأرض، وإن كان فيها تقديرات فرضية لعمر الكون المادي، وتلك قضية أخرى كما سبق أن قررنا)[1] أ . هـ.

الخامس: الرد على المثال الرابع :

قول "ميلر": (الإنسان نفسه لم يخلقه الله دفعة واحدة منفصلاً عن خلق الحيوان، ولكنه جاء نتيجة التطور الطويل من الأشكال الدنيا للحياة، فكيف إذن نتغلب على هذا الإشكال) يشير إلى نظرية "النشوء والارتقاء" لداروين.

وهذه فكرة ظهرت بذورها الأولى في الفكر اليوناني القديم، ومن قبله الفكر الشرقي القديم، كذلك [2]، وظلت هكذا حتى ظهرت واضحة جلية في أواسط العصر الفيكتوري ــ فيكتوريا ملكة بيرطانيا العظمى في الفترة من ١٨٣٧ إلى ١٩٠١ ــ وقد نشرها العالم البريطاني "داروين"[3] في كتابه "أصل الإنسان" وجاء في هذا الكتاب: أن الإنسان قد تطور من القرود، فهو لم يظهر فجأة على ظهر الأرض، لكنه تطور بصورة بطيئة عبر ملايين السنين[4]، ثم اعتنقها من بعد "داروين" أناس أردوا إحياء المذاهب الإلحادية القديمة لإفشائها بين الناس لتهدم الأديان[5] وهؤلاء اعتقدوا أن التطور الذي حدث في خلق الإنسان استغرق ستة عشر مليوناً من السنين، وزعموا أن الإنسان المالي انحدر من نوع من القرود أقل منه تطوراً في الماضي البعيد وقالوا: إن الإنسان القرد عاش في "جاوة" وأنه اكتشف أحفورة له هناك سنة ١٨٩١م، وافترض أنه الحلقة المفقودة بين الإنسان الحديث والنسانيس الموجودة الآن[1].

وهذه النظرية يبطلها ما يلي :

أ- الآيات القرآنية الدالة على أن أصل الإنسان الأول سيدنا آدم ــ عليه السلام ــ التراب ومنها:

---

(١) "المدخل إلى علم التفسير" ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) "نظرية التطور في ضوء الإسلام" رسالة دكتوراة للباحث عبد المقصود مصطفى علي سالم / ص ٣٦.

(٣) هو تشارليز روبرت داروين العالم البريطاني الشهير، ولد سنة ١٨٠٩ م وتوفى سنة ١٨٨٢م.

(٤) أسرار جسم الإنسان / ترجمة هاشم أحمد فؤاد / ص ٨٣ بتصرف.

(٥)

(١) "الإعجاز العلمي في خلق الإنسان من خلال نصوص القرآن" توطئه للحصول على درجة الماجستير / إعداد الباحث عامر عبد الحميد على جمعة.

قول الله ــ عز وجل ــ: " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "[٢] وقوله: "ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون"[٣] والمراد بالخلق هنا خلق أبينا آدم ــ عليه السلام ــ وكذلك قوله تعالى: " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ "[٤] أي خلق أصلكم وهو آدم ــ عليه السلام ــ من تراب ومثل ذلك قوله ــ تبارك وتعالى ــ: "هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ "[٥].

وهكذا تدل الآيات على أن أصل الإنسان الأول التراب وأنه ليس منفصلاً عن قرد أو غيره من الأنواع الأخرى.

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب عبد العاطي عبد الله: (أثبتت جميع الشرائع والرسالات السماوية أن أصل النوع الإنساني آدم أبو البشر، وأنه مخلوق من ضلعه الأيسر. ومن آدم وحواء بطريق التناكح كان النسل والذرية التي لا يحصى عددها إلا الله ــ تعالى ــ وأن ذلك التناسل سيستمر إلى يوم القيامة)[١].

ب- تكرار الخلق من الطين معجزة لنبينا عيسى عليه السلام :

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور / على محمد مطاوع: (وتكرر الخلق من الطين معجزة لعيسى ــ عليه السلام ــ دفعاً لما نادى به المنكرون من تطور الإنسان من القرد ــ نظرية النشوء والإرتقاء ــ التي قال بها "داروين"، قال تعالى: " وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي "[٢]) [٣]) أ. هـ.

ج- العلم الحديث :

يقول الباحث / عامر عبد الحميد علي: (يبتدئ خلق الإنسان في الدنيا نطفة في رحم أمة وتحمل خلايا هذه النطفة عوامل الوراثة من الأب والأم ففي كل من البويضة من الأم والحيوان المنوي من الأب ثلاثة وعشرون صبغياً" كروموسوماً" تحمل عوامل الوراثة ويتحدان معاً، ويكونان النطفة التي تحمل ستة وأربعين صبغياً يحمل عوامل الوراثة من كل من الأب والأم، وتظل العوامل الوراثية ــ التي تتحكم في الصنعات الوراثية الخلقية في الجسم تنتقل من جيل إلى جيل، وقد تحدث طفرات وراثية ــ أي تغيرات في عوامل الوراثة في أحد من الناس ــ لسبب أو لآخر ــ فتظهر صفة خلقية جديدة لم تكن موجودة في الجيل

---

(٢) ٥٩/ آل عمران.

(٣) ٢٠/ الروم.

(٤) ١١/ فاطر.

(٥) ٦٧/ غافر.

(١) "أطوار خلق الإنسان كما يصورها القرآن" رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن" ص ٧٤ بتصرف.

(٢) ١١٠/ المائدة.

(٣) "مدخل إلى الطب الإسلامي" ص ١٢ بتصرف.

السابق، ولكنها تورق للجيل اللاحق ــ ومهما ظهرت من طفرات وراثية فإن النظام الوراثي والشفرة الوراثية في نواة كل خلية بالجسم تظل ثابتة ومميزة للنوع ولا تكون في نوع آخر من المخلوقات، ولا تتطور إلى سواه.

نأخذ مثلاً صفة لون الجلد، أولون الشعر أو طول الجسم أو قصره أو شكل الأنف والشفتين؛ إنها جميعاً صفات وراثية تختلف من جنس البشر إلى جنس آخر، أو أنها تتلف حتى بيت الأفراد في الجنس الواحد وذلك بسبب حدوث طفرات وراثية حدثت من جيل من الأجيال، ثم توارثت الأجيال بعد ذلك.

واختلاف صفة من الصفات الوراثية في نفس النوع من أعجب أسرار الخلق ومن أكثرها إعجازاً، قال تعالى: "ومن آياته خلق السماوات وَمنْ آيَاتِه خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ "[1].

ولا تتماثل العوامل الوراثية في نوع من الخلق مع العوامل الوراثية في نوع آخر من الخلق، فكل نوع من الخلائق يحمل عوامل وراثية يتميز بها، وليست موجودة في نوع آخر، وبهذا النظام الوراثي المحكم تحتفظ الأنواع بخصائصها العامة ولا تتطور إلى نوع آخر من الخلق أبداً.

مما سبق نفهم: أن في كل جسم بشري خلايا، وفي كل خلية شفرة وراثية مميزة للنوع البشري كله، ولا يمكن مهما حدث من طفرات وراثية أن تكون قد تطورت من نوع آخر من الخلق، ولا يمكن أيضاً أن تتطور في مستقبل الزمن إلى نوع آخر من الخلق، فالإنسان خلق يوم خلق إنساناً وسيظل إنساناً، والقرد خلق قرداً وسيظل قرداً والحصان خلق يوم خلق حصاناً وسيظل حصاناً، وكذلك باقي الخلائق، وقد تختلف الصفات الخلقية في البشر على مر الآلاف من السنين فتختلف بعض ملامح الجسم في الإنسان القديم عن الإنسان الجديد، ولكن لا يختلف النوع أبداً فذلك مستحيل علمياً)[1]أ . هـ.

د- شهادات العلماء والباحثين بفساد هذه النظرية:

يقول الأستاذ / محمد قطب: (الإنسان إذن إنسان، كل الاتجاهات الفكرية: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية والفنية وغيرها والتي تفرعت عن الإيمان بحيوانية إنسان كانت منحرفة وخاطئة وغير جديرة بالاعتبار)[2].

وعند عالم الطبيعة "ولاس": أن الله تعالى ــ خلق الإنسان مستقلاً بذاته فهو من البدء إنسان، وليس مخلوقاً على سبيل التدرج من الحيوانات الأقل مرتبة، وقد قال في ذلك ما خلاصته: إن الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الإنسان، ولابد من القول بخلقه

---

(1) ٢٢/ الروم.

(1) "الإعجاز العلمي في خلق الإنسان" ص ١١٣، ١١٤.

(2) "معركة التقاليد" للأستاذ محمد قطب ص ٦٣.

رأساً[٣] ومعنا الآن شهادة عالم آخر من مشاهير علماء الطبيعة هو الأستاذ "فرضوا" إذ يقول: إنه يتبين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقاً بعيداً، فلا يمكننا أن نحكم بأن الإنسان من سلالة قرد أو غيره من البهائم ولا يحسن أن نتفوه بذلك[٤]، ويقول العالم / فويه بسكوف بعد أن درس هو و "فرخو" تشريح المقابلة بين الإنسان والقرد: إن الفرق بين البشر والقرود أصلي، وبعيد جداً[١] وقد أعلن أحد علماء الذرة وهو البروفوسور "جوهانس هو دبر" السويسري في بيانه الذي نشره في يوم ١٠ مارس سنة ١٩٥٦م والذي عارض فيه بشدة هذه النظرية، فذكر أنه لا يوجد دليل واحد من ألف دليل يرشد إلى أن الإنسان من سلالات القرود أو غيرها من الحيوانات وأكد على بيانه بأنه قام بالعديد من التجارب التي أمدت له من غير شك فساد هذا الرأي فالإنسان منذ عشرة ملايين من السنين قد عاش منفرداً وبعيداً جداً، وبالمثل أعلن البروفوسور "هوردلو" تأييده للدكتور / "دونير" حيث كان الأخير يعمل مشرفاً على أبحاث جامعة كولومبيا وقد أعلن في ٣١ مارس سنة ١٩٥٦ م فساد نظرية داروين، فذكر أن الأنواع خلقت مستقلة استقلالاً تاماً وعلى رأسها الإنسان الذي يمشي على رجليه، ومنها الدواب التي تمشي على أربع ومنها الزواحف التي تمشي على بطنها وصدق الله القائل: " فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[٢] [٣]

ويقول الباحث عبد المعبود مصطفى علي: (إن الفروق شاسعة وعظيمة بين الإنسان وغيره من بقية الحيوانات، هذا من جهة وبينه وبين القرود بصفة خاصة، وهذه الفروق تجعلنا نقرر بلا تردد أنه من المستحيل أن ينشأ إنسان من القرد أو أن يتطور عن حيوان آخر، هذا بإقرار العلماء أنفسهم بعد إطلاعهم على تلك الفروق، ومع ذلك كله فإننا نقول: إن الإنسان إذا أشبه القردة في أشياء فقد أشبه الحيوانات الأخرى في أشياء غير التي أشبه فيها القرود، بل هناك من الحيوانات الدنيا أشبهت الإنسان في أشياء قد لا يوجد مثلها في الحيوانات العليا، فلم إذن تخصيص القرود بكل هذا دون سائر الحيوانات ؟

وهل بعد كل ذلك يجوز في حكم العقل أن نحكم بالتحول بين الأنواع لمجرد المشابهة العابرة ؟

وهل يصح لعاقل أن يعتمد عليها في الحكم على الأنواع بالتطور؟

---

(٣) نظرية التطور في ضوء / الإسلام ص ١٣٧ بتصرف.
(٤) المرجع السابق نفس الموضوع.
(١) المرجع السابق نفس الموضوع.
(٢) ٤٥/ النور.
(٣) نظرية التطور في ضوء الإسلام ص ٣٤٨.

وإذا سلمنا جدلاً بأن هناك تلازماً بين المشابهة والتحول المدعي، لكن هل بناءً عليه يتعين عليه أن يتحول الإنسان عن الحيوان الذي نشأ عنه القرد مثلاً ؟ بل عن القرد رأساً كما قال بعضهم ؟ ولم لا يكون العكس هو الصحيح ــ على معنى تحول القردة عن الإنسان ؟ وإذا جاز في عرفهم أن يتحول الإنسان عن القرد ــ ظنا وتخميناً ــ فإنه في عرف العقل لا يمتنع أن يتحول القرد عن الإنسان والعقل لا يحيل ذلك مادام الأمر مبنياً على مجرد الظن والتخمين، وليس على العلم والتجربة الصادقة بل على الكذب والتزوير)[1] أ.هـ.

والحق أيها القارئ الكريم أليس الأمثل والأكرم أن نسلم بما ذكرته لنا الأديان بأن أبانا آدم ــ عليه السلام ــ خير من أن نقول: إن أبانا قرد !!؟[2].

ويقول فضيلة الأستاذ الدكتور / البلتاجي: (أما ما يشير إليه "ميلربروز" من نظرية النشوء والارتقاء لداروين، فإنما يشير إلى نظرية لم تكن في وقت من الأوقات حقيقة علمية قطعية يمكن أن تقاس عليها النصوص الدينية، فهي لم تزد في وقت ما ــ منذ قيل بها ــ عن أن تكون مجرد فرض لم يقم عليه أبداً دليل قاطع، أو قريب من القطع واليقين، ومنذ أعلنها "داروين" وجدلها معارضون من رجال العلم التجريبي؛ لأنه لم يقم أبداً دليل محسوس على صحتها، وإنما هي فرض عقلي فسر به داروين بعض الظواهر والمشاهدات، لكن لم يرصد أحد من المؤمنين بها إطلاقاً تطوراً مادياً يقطع بصحتها، بل على العكس من ذلك فقد طالعتنا وكالات الأنباء في أكتوبر ١٩٧٤م (شوال ١٣٩٤ هـ) أن أعضاء بعثة الآثار الفرنسية البريطانية التي تقوم بسلسلة من الحفائر في إثيوبيا قد اكتشفوا بقايا هيكل عظمي لإنسان، يرجع تاريخها إلى حوالي أربعة ملايين سنة، وقال أعضاء البعثة: إن هذا الكشف سيغير تماماً النظريات السابقة المعروفة عن أصل الإنسان (جريدة الأخبار القاهرية في ١٩٧٤/١٠/٢٨ ص١) . ومما لا شك فيه أن أول ما يغيره هذا الكشف نظرية داروين، فهل يستقيم بعد هذا أن يطعن إنسان في صدق الوحي القرآني في الخلق، مستنداً إلى استنتاج فرض لعالم طبيعي، لم يثبته هو أو غيره بصورة قاطعة، بل وجدت اكتشافات تطعن في صحته ؟ ومن هنا لا تصلح هذه النظرية ــ على أي نحو ــ لتكون مقياساً تقاس عليه نصوص القرآن الكريم في الخلق، ومنهجنا في كافة النظريات البعيدة عن وصف اليقين، هو أننا ننزه القرآن ابتداءً عن أن يقال في تأويله شيء يتصل بمحض الفروض والاستنتاجات القابلة للتغيير، بل الإلغاء أصلاً، وبهذا يتبين أن كلام "ميلربروز" وأمثاله عن "خلق الإنسان في تطور طويل من الأشكال الدنيا" ــ كقضية مسلم قطعاً بصحتها ــ شنشنة كاذبة تعرفها من هؤلاء وهي تقوم على جعل "الظنون والتصويرات" حقائق قاطعة مسلماً

---

(١) "نظرية التطور في ضوء الإسلام" ص ١٣٩، ١٤٠.

(٢) "هذا خلق الله" د / محمد جمال الفندي ص ٦٤.

بصحتها، وينبغي ألا يخدع هذا المنهج ـ القائم على التعمية والتجهيل بحقائق الأمور ـ أحداً من الباحثين الذين يحترمون عقولهم)[١] أ.هـ.

السادس: الرد على المثال الخامس :

يقول الدكتور / خلف الله: (بأن للعقل الإسلامي أن مثاله غروب الشمس في عين حمئة لا يستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون) أ.هـ.

يرد هذا القول ما ذكرته سابقاً في الوجه الأول في "ب" من الردود على هذه الشبهة من أنه لابد أن يكون التعارض من كل وجه بحيث لا يكون اللفظ محتملاً لأكثر من معنى، أما الألفاظ المحتملة فلا يجوز الأخذ بها والادعاء بأنها تعارض العلم الحديث.

(فالنص القرآني المحكم المعجز يقول: "وجدها تغرب" ولم يقل: إنها تغرب حتى يكون هذا تعبيراً عن الحقيقة الكونية المطلقة)[٢].

يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (قوله تعالى: "وجدها تغرب في عين حمئة"[٣]: أي رأي الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه)[٤]. كما يقول الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ: (قال القفال: قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً، ووصل إلى جرمها ومسها؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض، من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفه، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، ولهذا قال تعالى: "وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً"[١] ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم[٢]، ومن ثم لا تعارض بين الآية الكريمة والعلم الحديث.

وهكذا إذا أمعنا النظر في الأمثلة السابقة التي يجنح الأعداء من ذكرها إلى إسقاط الإعجاز العلمي في قرآن الله العلي لوجدناها لا تخرج عن أن تكون نظريات وفروض واحتمالات لن تصل حد الحقيقة العلمية القاطعة الثابتة، أو هي تحميل لآيات القرآن ما لا

---

(١) "المدخل إلى علم التفسير" ص ٢٠٩.

(٢) "المدخل إلى علم التفسير" ص ٢٣٣.

(٣) ٨٦/ الكهف.

(٤) "تفسير القرآن العظيم" ١٩١/٥. ملحوظة: أضف هنا نقلاً يتعلق بهذه الجزئية من كتاب شبهات المشككين / للمجلس الأعلى ص ٢٩٦.

(١) ٩٠/ الكهف.

(٢) "الجامع لأحكام القرآن" ٤٠٨٨/٦، ٤٠٨٩.

تحتمل من حيث المعاني وسيء الأفكار، وهذا يؤدي بلا أدنى ريب إلى ردها وتنزيه آيات القرآن عنها.

السابع: أخيراً مما يرد على هذه الأمثلة وغيرها مما افتراه الأعداء من افتراءات لإسقاط الإعجاز العلمي في قرآن الله العلي:

توصل الكثير منهم إلى حقائق القرآن الكريم العلمية الخالدة الباهرة وشهادتكم لها وإيمانهم بها، بل ودخولهم بسببها في الإسلام، ومن هؤلاء.

- المستشرق الفرنسي "حرينييه" الذي كان عضواً بمجلس النواب الفرنسي، إذ يقول عن سبب إسلامه: (إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها من صغرى وأعلمها جيداً فوجدت هذه الآيات نطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثية، فأسلمت لأسني تيقنت أن محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ أتلا بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً، كما قرانت أنا ... لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض)[1] أ.هـ.

- والمستشرقة "ديبورابوتر" التي اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠م بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين في أمريكا بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان ذكراً كان أم أنثى[2].

تقول: (كيف استطاع محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الرجل الأمس الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها ؟ لابد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل)[3] أ.هـ.

- والدكتور / موريس بوكاي الطبيب والعالم الفرنسي المعروف، كان كتابه "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم" من أكثر المؤلفات التي تحدثت عن "الإعجاز العلمي لقرآن الله العلي" بأصالة واستيعاب وعمق، ويبدو أن عمله في هذا الكتاب القيم منحة قناعات مطلقة بصدق كتاب الله، وبالتالي صدق الدين الذي جاء به[4].

---

(١) "أوربا والإسلام" لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / عبد الحليم محمود ص ٨٧، ٨٨.

(٢) "قالوا عن القرآن" د / عماد الدين خليل ص ٨ / هامش (١).

(٣) "قالوا عن القرآن" د / عماد الدين خليل ص ٨ نقلاً عن "بوتر" في كتابها " رجال ونساء أسلموا" ١٠٩/٨.

(٤) "قالوا عن القرآن" ص ١٠/ هامش (١).

يقول: (لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومصطيات العلم الحديث، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أي سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا، وأما بالنسبة للأناجيل .. فإننا نجد نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض)[1] أ.هـ.

وأكتفي بهذا القدر في الرد على من قال بإسقاط الإعجاز العلمي في قرآن الله العلي، وصدق الله ــ عز وجل ــ إذ يقول: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد"[2].

* * *

(١) قالوا عن القرآن" د / عماد الدين خليل ص ٩ نقلا عن د / بوكاس في كتابه "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ١٥٠.

(٢) ٥٣/ فصلت.

الخاتمة

نسأل الله حسنها

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، ثم أما بعد: فقد عرضت في هذا البحث الذي سميته: "من الشبهات المثارة حديثاً حول علوم القرآن والرد عليها" شبهتين ثم رددت عليها، وفي النهاية توصلت إلى ما يلي:

أولاً: القراءات القرآنية الثابتة هي قرآن منزل من رب البرية ــ سبحانه وتعالى وقد تلقتها الأمة بالقبول، ومن ثم فلا محاولة للطعن فيها، وكل محاولة مردودة على صاحبها.

ثانياً: حوى القرآن الكريم حقائق علمية باهرة دون نظريات فرضية كاذبة.

ثالثاً: لا تعارض بين الحقائق العلمية الثابتة وبين آيات القرآن الكريم الخالدة الباهرة.

رابعاً: النظريات الفرضية هي التي تتعارض مع الآيات القرآنية ويكون الخطأ والتعارض من النظريات لا من الآيات إذ أنها منزلة من فاطر الأرض والسماوات.

خامساً: الشفاء بالعسل حقيقة علمية باهرة في آيات القرآن النيرة وأحاديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ السامية.

سادساً: لا وجود لجبل "ق" المزعوم في الأرض كلها.

سابعاً: فساد نظرية العالم البريطاني "داروين" شرعاً وعقلاً.

ثامناً: دخول كثير من المستشرقين في الإسلام بسبب وقوفهم على الإعجاز العلمي في قرآن رب الأنام، وهذا من أعظم الأدلة على خلود القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان وبقائه منهلاً عذباً ومنبعاً فياضاً لمن يريد أن ينهل منه.

وفي ختام هذا البحث أوصى بما يلي :

أولاً: أوصي إخواني المسلمين لا سيما المتخصصين منهم في الدراسات العلمية بمزيد البحث في حقائق القرآن العلمية الباهرة واستخراجها للناس حيث إن ذلك من متطلبات هذا العصر الذي ازدهر فيه التقدم العلمي.

ثانياً: أوصي إخواني المسلمين لا سيما المتخصصين في الدراسات القرآنية بمزيد الجهد في دفع شبهات الآثمين حول علوم القرآن المبين.

وصلى الله وسلم وبارك على
سيد الأولين والآخرين وعلى
آله وأصحابه أجمعين

* * *

فهرس أهم المراجع والمصادر

١) القرآن الكريم جل وعز من أنزله.

٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم " د / موريس بوكاي.

٣) "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" أ . د محمد بن محمد أبو شهبة / ط مكتبة السنة بالقاهرة / ط ٤ / ١٤٠٨ هـ.

٤) "الإسلام منهج حياة" د / فيليب.

٥) "اتجاهات التجديد في تفسير القرآن" د / شريف.

٦) "أسرار جسم الإنسان" ترجمة هاشم أحمد فؤاد / ط مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.

٧) "أطوار خلق الإنسان كما يصورها القرآن" رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة للباحث / عبد الوهاب عبد العاطي عبد الله / إشراف أ . د محمد عبد المنعم القيعي.

٨) "إنسانية الإسلام" للمستشرق بوازار.

٩) "أوربا والإسلام" أ . د عبد الحليم محمود / ط دار المعارف بالقاهرة.

١٠) البرهان في علوم القرآن "للإمام محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي / ط دار المعرفة بيروت ١٣٩١ هـ / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١١) التعريفات "للسيد الشريف علي بن محمد بن علي أبو الحسين الجرجاني الحنفي / ط الحلبي.

١٢) التفسير والمفسرون ــ للإمام الذهبي / ط مكتبة وهبة بالقاهرة / ط ٥ / ١٣٩٣م.

١٣) "تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه" لمحمد طاهر الكردي / ط مطبعة الفتح بجدة / ١٣٦٥هـ.

١٤) تفسير القرآن العظيم "لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي / ط دار طيبة / ط ٢ / ١٤٢٠هـ.

١٥) "الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / ط دار الريان للتراث بالقاهرة، مصورة عن ط الشعب.

١٦) "حياة محمد" للمستشرق إيدفنج.

١٧) "الرد على ابن النغريلة" للإمام ابن حزم الأندلسي، هو جزء من كتاب "رسائل ابن حزم" تحقيق إحسان عباس / ط ١٩٨١/١ / ط المؤسسة العربية بيروت.

١٨) "رجال ونساء أسلموا" للمستشرقة ديبورابوتر.

١٩) "رد مفتريات على الإسلام" لعبد الجليل شلبي / ط دار القلم بالكويت / ط ١ / ١٩٨٢م.

٢٠) رسم المصحف / د / عبد الفتاح شلبي / ط مكتبة وهبة بالقاهرة.

٢١) "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" للعلامة الآلوسي / ط مكتبة دار التراث بالقاهرة.

٢٢) "زاد المعاد في هدى خير العباد" للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية / ط دار الفلم للتراث بالقاهرة.

٢٣) "شبهات حول القرآن الكريم" د / محمد عمارة.

٢٤) "الطب النبوي" للإمام ابن قيم الجوزية / ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

٢٥) "الفن القصصي في القرآن" د / محمد أحمد خلف الله.

٢٦) "قالوا عن الإسلام" د / عماد الدين خليل.

٢٧) "قالوا عن القرآن" د / عماد الدين خليل.

٢٨) "لسان العرب" للعلامة محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري / ط دار صادر بيروت.

٢٩) "المدخل إلى علم التفسير" أ . د بلتاجي / ط مكتبة الشباب ١٩٩٨م.

٣٠) ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم" أ. د محمد بن محمد أبو شهبة / ط مكتبة السنة بالقاهرة / ط ٢ / ١٤٢٣ هـ.

٣١) مدخل إلى الطب الإسلامي" أ . د علي محمد مطاوع العدد الخامس لشهر ربيع الأول ١٤٠٦ هـ من سلسلة أعداد رسالة الإسلام" التي تصدرها وزارة الأوقاف بالاشتراك مع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / إشراف أ . د محمد الأحمدي أبو النور.

٣٢) "مدخل إلى القرآن الكريم" أ. د محمد عبد الله دراز / ط دار القلم بالكويت ١٩٩٣م.

٣٣) "المذاهب الإسلامية" للمستشرق جولد تسيهر / ترجمة د / محمد يوسف موسى.

٣٤) "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي / ط المكتبة العلمية ببيروت.

٣٥) "المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني / ط مصطفى الحلبي.

٣٦) "مجلة لواء الإسلام" العدد الأول من السنة الأولى.

٣٧) "معركة التقاليد" أ. محمد قطب / ط دار الشروق ١٩٧٩م.

٣٨) "مفاتيح الغيب" للإمام فخر الدين الرازي / قدم له فضيلة الشيخ خليل محي الدين الميس / ط دار الفكر بيروت ـ لبنان ١٤١٥هـ .

٣٩) "مقترحات في موضوع العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام" للمستشرق ميلربروز.

٤٠) "مناهل العرفان في علوم القرآن" للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني / ط دار الفكر بيروت ـ لبنان ١٤١٦ هـ.

٤١) "النشر في القراءات العشر" للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تصحيح ومراجعة أ . د على محمد الضباع / ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٤٢) "نظرية التطور في ضوء الإسلام" رسالة دكتوراة مقدمة من الباحث عبد المقصود مصطفى على سالم بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالمنوفية / إشراف أ . د إبراهيم الفيومي، و د / محمود عبد الحكيم عثمان.

٤٣) "هذا خلق الله" د / محمد جمال الدين الغندي / العدد الرابع والعشرون من سلسلة دراسات إسلامية / إصدار وزارة الأوقاف بالتعاون مع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٨ هـ.

٤٤) "الوجيز في أصول الفقه" د / عبد الكريم زيدان / ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.

* * * * *